البعد التّداولي في النّحو الكوفيّ دراسة في فكر الكسائيّ

أ.م. د أحمد عبدالله ظاهر

جامعة واسط، كلية الآداب، قسم اللغة العربية

تاريخ الاستلام: 01-06-2021

تاريخ القبول:12-06-2021

المستخلص

وقفنا في هذا البحث على بعض المسائل النحويّة التي بيّنت التفات النحويين الأوائل إلى مقاصد الخطاب ومراعات الجوانب الاجتماعية في الأحكام النحويّة ، وقدد خصص البحث في دراسة فكر إمام المدرسة الكوفيّة أبي الحسن علي بن حمزة الكسائي ، وأشرنا إلى بعض الجوانب التداوليّة في أحكامه والتي تتمثل في الإعراب التداوليّ ، والقصدية وأفعال الكلام والافتراض المسبق . وقد توصل البحث إلى أنّ النحويين الأوائل قد عرضوا في مؤلفاتهم كثيرا من الجوانب التداوليّة واللسانيّة التي توصل إليها علم اللغة الحديث.

كلمات مفتاحية: النحويين، علم اللغة، الكسائي.

The Pragmatics dimension in the Kufi's Grammar (A study in Alkissa's ideology)

Assistant Professor Dr Ahmed Abdullah Al-Badri
Wasit University - College of Arts / Department of Arabic Language
athaher@uowasit.edu.iq

Receipt date: 2021-06-01
Date of acceptance: 2021-06-27

Abstract

In this papers, many grammatical issues were discussed to reveal the points of discourse considering the social aspects in the grammatical regulations. This current paper highlights the study of the Kufi Imam Abi Alhasan Ali Bin Hamza Alkisaee. Many Pragmatics aspects were indicated in his regulations which represented in the pragmatics syntax, intentional and speech verbs and predicted assumption. The results of this paper revealed that the early grammarians exposed in their books many of pragmatics and linguistic aspects that discovered by the mordent language science.

Key word: grammatical, linguistic, Alkissa's

المقدمة:

إنّ المتأمل في التراث العربي القديم يرى أنّ النحويين العرب قد انتبهوا إلى قواعد التخاطب الكلامي وضمنوها في مؤلفاتهم، وقد توصلوا إلى أغلب ما توصل إليه الدرس اللغوي الحديث فكانت أحكامهم النّحويّة من رفع ونصب وجزم وما يتبع ذلك من تقديم أو تأخير أو حذف أو ذكر كلها مبنية على دلالات ومقاصد يتضمنها الكلام ، وإنّ أيّ تغيير في تلك المعاني سيؤدي بالتالي إلى تغيير هذه الأحكام النحويّة أو تغيير في ترتيب أجزاء الجملة .

وسأحاول في هذا البحث أن أتتبع بعض الجوانب التداوليّة التي تضمنتها الأحكام النحويّة عند علم من أعلام القرن الثاني الهجري ، وهو علي بن حمزة الكسائي وعلى النحو الآتي

1. الإعراب التداولي
2. القصديّة
3. أفعال الكلام
4. متضمنات القول (الافتراض المسبق)

1 ـ الإعراب التداولي

التداولية في اللغة : مصدر تداول ، يقال دال يدول دولا انتقل من حال إلى حال ، وأدل الشيء جعله متداولا ، وتداولت الأيدي الشيء أخذته هذه مرة ، وتلك مرة (ابن منظور، (دول) ، 5/ 1455) .

التداولية اصطلاحا : هي أحدى المذاهب اللسانية التي تدرس العلاقة بين النشاط اللغوي ، ومستعمليه ، وتتماز أيضا في معرفة أسباب الفشل في التواصل الإنساني (صحراوي ، 2005، 5)، وهي أيضا "علم جديد للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال ، ويدمج من ثمّ مشاريع معرفيّة متعددة في دراسة ظاهرة التواصل اللغوي وتفسيره " (صحراوي ، 2005، 5) .

والإعراب عند النحويين الأوائل : هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ ، قال ابن جني: " ألا ترى أنك إذا سمعت (أكرم سعيد أباهُ)) و ((شكر سعيد أبوه)) علمت برفع احدهما ونصب الآخر الفاعل من المفعول ، ولو كان الكلام شرجا واحدا لاستبهم احدهما من صاحبه" (ابن جني ، 2003 ، 89/1).

وقد استطاع الكسائي أن يربط بين الإعراب والاستعمال في أحكامه النحويّة التي يخالف فيها جمهور النحويين ؛ لورود السماع بذلك ثم يحاول أن يجد تعليلا نحويّا يؤيد صحة كلامه الذي بناه على المسموع من الكلام العربي ، ومن ذلك حكمه بجواز العطف على محل اسم (إنّ) واخواتها قبل مجيء الخبر ، وبعده ، محتجا بذلك بقوله تعالى : ﴿ إنّ الذينَ آمنُوا والذينَ هَادُوا والصَّابِئُونَ والنَّصَارَى ﴾ (المائدة 69) ، إذ يرى أنّ رفع (الصائبين) على أنه عطف على (الذين) إذ الأصل في (الذين) الرفع ؛ لأنّ النصب بـ (إنّ) في هذا الموضوع ضعيف (الكسائي ، 1998، 125، الفراء ، 310/1) وقد أيد الفرّاء كلام شيخه بقوله : " فإنّ رفع (الصابئين) على أنّه عطف على (الذين) ، و (الذين) حرف على جهة واحدة في رفعه ونصبه وخفضه ، فلّما كان إعرابه واحداً ، وكان نصب (إنّ) نصبا ضعيفا ... جاز رفع الصابئين " (الفراء، 310/1-311) واحتج الكسائي والكوفيون بعده بما سُمِعَ من العرب . (الكسائي ، 1998، 125، الفراء ، 311/1)

أمّا البصريون فقد تأولوا (الرفع) في (الصابئين) من وجهين (الأخفش ،2002، 171-172، الزمخشري،2003 ،301/1) :

الأول : إنّ قوله تعالى : ((إنّ الذينَ آمَنُوا)) في موضع رفع في المعنى ؛ لأنّه كلام مبتدأ .

الثاني : إنّه تجيء أشياء في اللفظ لا تكون في المعاني منها قولهم (هذا جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ) ، و (كَذَبَ عليكم الحجُ) .

وأجاز الكسائي العطف على معمولي عاملين مختلفين نحو (ليس بقائم زيد ولا خارج عمرٌو) ؛ لورود السماع بذلك ؛ لذا قرأ (آيات) في قوله تعالى : ﴿ إنَّ فِي السَّمَوَاتِ والأَرْضِ لَآيَاتٍ للمُؤمِنِينَ ۞ وَفِي خَلْقِكُم وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَةٍ آيَاتٌ لِقَومٍ يُوقِنُونَ﴾ (الجاثية3-4) مخفوضة في موضع نصب (الكسائي ، 1998، 230) وقد بيّن النّحاس الاختلاف في هذه الآية بين الرفع ، والنصب بقوله : " اختلف النحويون فيه فقال بعضهم النصب فيه جائز ، وأجاز العطف على عاملين ، فمّمن قال هذا سيبويه والأخفش ، والكسائي والفراء (النحّاس ، 2008، 829) وبهذا نرى أنّ الكسائي يعطي أحكاما نحويّة ، وأوجهاً إعرابيّة لكثير من الألفاظ بما يتوافق مع اللسان العربي الفصيح ، ويبعد أحكامه الإعرابية ، عن التأويلات التي تبعد اللغة عن مستعمليها .

وخالف الكسائي الجمهور أيضاً في مسألة نعت الضمير ؛ إذ إنّ رأي الجمهور أنّ الضمير لا يُنْعَت ولا يُنْعَت به ؛ لكن الكسائي أجاز نعت ضمير الغيبة نحو : مررت به المسكينِ ، واستدل الكسائي على مذهبه بالسماع (الكسائي ، 1998، 215 ، الأندلسي ، 1993، 7 / 278) ومن ذلك قوله تعالى : ﴿لا إلهَ إلاّ هُو الرَّحْمَنُ الرَّحِيْمُ﴾ (البقرة ، 163) وقوله تعالى : ﴿قُلْ إنَّ رَبِي يَقْذِفُ بِالحَقِّ عَلَّامُ الغيوبِ﴾ (سبأ ، 48) فيرى أنّ (الرحمنُ ، وعلّامُ) نعوت للضمائر المتقدمة (الكسائي ، 1998،

215) وقد علل سيبويه سبب عدم نعت الضمير بقوله : "واعلم أنّ المضمر لا يكون موصوفا ، من قِبَلِ أنّك إنّما تضمر حين ترى أنّ المحدث قد عرف من تعني ، ولكن لها أسماء تعطف عليها تعمّ ، وتؤكد ، وليست صفة ؛ لأنّ الصفة تحلية نحو الطويل ، أو قرابة نحو أخيك ، وصاحبك وما أشبه ذلك" (سيبويه ، 2006، 2 / 11) ويرى ابن هشام وجمهور النحويين أنّ المعارف تنعت بالمعارف إلاّ الأسماء المضمرة ؛ لأنها أقوى المعارف (الأنصاري ، 1985، 112) "وذلك أنك لا تضمر الاسم إلا بعد ما تذكره فقد تكرر ذكره قبل الضمير ، وتكرر بإعادة الضمير ، فكأنك ذكرته مرتين ؛ فلذلك صار المضمر أقوى من المظهر ؛ لأنك إنما تذكر المظهر مرة واحدة فتقول في النعت هذا زيدٌ الكريمُ" (الأنصاري ، 1985، 112) .

وقد أيّد الفرّاء مذهب شيخه بقوله : " رُفِعَت (علّام) ، وهو الوجه ؛ لأنّ النعت إذا جاء بعد الخبر رفعته العرب في إنّ ، يقولون : إنّ أخاك قائم الظريف ولو نصبوا لكان وجهاً ، إلاّ أنّ القراءة الجيدة الرفع " (الفراء ، 364/2).

يتضح مما تقدم أنّ الاستعمال اللغوي هو الأصل الذي اعتمده الكسائي في أحكامه النحويّة التي خالف فيها الجمهور ؛ بل جعل الاستعمال اللغوي هو المصحح للقاعدة النحويّة .

2ـ القصديّة

القصديّة في اللغة مشتقة من (القصد) ، وهي تعني استقامة الطريق (الخليل ، (قصد) ، 1984، 543/5) وإتيان الشيء والتوجه نحو الشيء (ابن فارس(قصد) ، 1979، 95/5 ، الجوهري(قصد) ، 1984، 524/2).

والقصديّة في الاصطلاح تعني " الفعل الذي يتجه فيه العقل نحو الموضوع ؛ لكي يدركه، والقصديّة هي خاصية الشعور حينما يشير او يتجه نحو الشيء ليدركه" (هوسرل ، 1991، 47).

لقد وجّه الكسائي كثيرا من الأحكام النّحويّة بناءً على قصد المتكلم ، ومن ذلك جوازه نصب (معذرة) في قوله تعالى ﴿ قالوا معذرةً الى ربكم ولعلهم يتقون ﴾ (الأعراف ، 164) ، إذ يرى أنّ النصب فيها يكون من وجهين (الكسائي ، 1998، 148):

الأول : إذا قصد المصدر ، والثاني : على تقدير : فقلنا لهم معذرةً .

وبهذا جعل تعدد الأوجه المحتملة للتركيب تأتي بناءً على المقاصد التي يتضمنها الكلام ، ومن ذلك أيضاً جوازه جزم جواب الطلب بعد حذف الفاء نحو : ائتِنِي أكْرِمْكَ ، بجزم (أكرمْكَ) على أنّه جواب شرط محذوف دلّ عليه الطلب ، وقد اشترط

جمهور النحويين لهذا الجزم وقوع (لا) بعد (إن) الشرطية المقدّرة ، أمّا الكسائي فلم يشترط هذا الشرط ، بل يرى أن الأمر مقتصر على القصد وصحة المعنى ؛ لذا حكم بصحة التركيبين (لا تدنُ من الأسد تَسلَمْ) و (لا تدنُ من الأسد يأكُلْكَ) ؛ لأنّ مقصد الكلام ظاهر بيّن ، أمّا النحويون فيرون الصحة بِجزم الأول ، وامتناعه في الثاني (سيبويه ،3،97/2009، الأزهري، 242/2) وقد أوضح الأزهري مذهب النحويين في هذه المسألة بقوله : " جاز (لا تدنُ مِنَ الأسدِ تَسْلَمْ) بالجزم لصحة قولك : إن لا تَدنُ مِنَ الأسدِ تَسْلَمْ ؛ لأنّ السلامة مسببة عن عدم الدنو ، ووجب الرفع في نحو (لا تدنُ من الأسد يأكلُكَ) ؛ لعدم صحة قولك : إنْ لا تَدنُ مِنَ الأسدِ يَأكُلْكَ ؛ لأنّ الأكل لا يتسبب عن عدم الدنو وإنّما يتسبب عن الدنو نفسه ؛ لهذا الشرط أجمعت السّبعة على الرفع في قوله : ﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾(المدثر،6) " (الأزهري ، 242/2).

وحجة الكسائي للجزم في المثالين السابقين هو صحة تقدير (لا) في المثال الأول بعد الشرط المقدر ، وعدم تقديرها في المثال الثاني ؛ لأنّه بيّن من مقاصد الكلام وقراءته أنّ المعنى (إنْ تَدْنُ مِنَ الأسَدِ يَأكُلْكَ) ، وقد اتفق ابن هشام مع الكسائي في هذا الرأي إذ قال : " وعن الكسائي في إجازته الجزم بأنّه يقدر الشرط مثبتا مدلولاً عليه بالمعنى لا باللفظ ، ترجيحا للقرينة المعنويّة على القرينة اللفظية ، وهذا وجه حسن إذا كان المعنى مفهوماً " (الأنصاري ، 2/ 788–789).

ويدخل ضمن هذا المعنى خلافه مع النحويين في مسألة تقدير المحذوف في قوله تعالى : ﴿ واتَّقُوا يَوْماً لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئَاً ﴾ (البقرة ، 48) إذ يرى أن التقدير (لا تجزيه) فالمحذوف الهاء فقط لدلالة المعنى على المحذوف ، في حين قدّر غيره من النحويين حذف فيه ، والتقدير عندهم (لا تجزي فيه) (الكسائي، 1998، 48، الفراء ، 1 /32، الأخفش، 2002 ، 72 ، النّحاس ، 2008، 120) ، وقد خطأ الكسائي هذا الوجه ؛ لأنّ التقدير عنده : واتقوا يوماً لا تجزيه نفس(الفراء، 1/ 31) ثم حذف الضمير المنصوب ، وإنّما جاز حذف الضمير الهاء عنده ؛ لأنّ الظروف لا يجوز حذفها ؛ لاختفاء القصد ؛ بسبب احتمال المعنى أكثر من تقدير (الفراء ، 1 /32 ، الأخفش، 2002 ، 72 ، النّحاس ، 2008، 120) قال : " لا يجوز أن نقول: هذا الرجل قصدت ، ولا رأيت رجلا أرغب ، وأنت تريد : قصدتُ إليه ، وأرغب فيه ... ولو أجزت اضمار الصفة ها هنا لأجزت : أنت الذي تكلمتُ وأنا أريد الذي تكلمت فيه" (الكسائي ،1998 ، 68–69) .

يتضح مما تقدم أنّ الكسائي رفض التقدير الثاني الذي قال به جمع من النحويين ؛ لأنّه تنبّه الى أنّ الجمل الخالية من القصد تنتجها القواعد ، ولكنها لا تمثل على الرغم من ذلك كلام المتكلم (مقبول ، 2006 ، 363) وهذا ما وجده علماء اللغة

المحدثون الذين عابوا النظريات البنيوية عموما ، والتوليدية خصوصاً ، لأنّها لا تولي عنايتها لهذا النوع من الجمل لا لشيء إلا لأنها تمتلك الصحة القاعدية والصحة الدلالية ، وهما شرطان ، وإن عُدا ضروريين في بناء الجملة لكنهما غير كافيين من غير قصد يسير بهما لتحديد الدلالة (مقبول ، 2006 ، 363) .

3ـ أفعال الكلام

المقصود بالفعل الكلامي : "كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي ايجازي تأثيري ، وفضلا عن ذلك يعدّ نشاطاً نحويّاً يتوسل أفعالا قوليـة

(Actes Locutoires) لتحقيق اغراض انجازية (Actes illocutoires)

(كالطلب والأمر والوعد والوعيد ... الخ) وغايات تأثيريّة (Actes periocutoires) تخص ردود فعل المتلقي (كالرفض والقبول) ومن ثم فهو فعل يطمح إلى أن يكون فعلا تأثيريّاً ، أي يطمح إلى أن يكون ذا تأثير في المخاطب اجتماعيّاً أو مؤسساتياً ، ومن ثم انجاز شيء ما "(صحراوي ، 2005 ، 40)0 ، أو هو : "ما ينجز مباشرة بواسطة المغزى المرتبط عرفا بالنطق بنوع معيّن من المقولات بموجب نهج متعارف عليه ... وهو يشمل كافة التأثيرات التي تولدها مقولة معيّنة في موقف معيّن ، سواء أكانت التأثيرات مقصودة أم غير مقصودة" (الخليفة، 2007 ، 93) .

ويمكن تتبع آثار هذه الظاهرة في تراث الكسائي النحوي ، ومنها ما ذكره ابن هشام في كتابه المغني ، أن أبا يوسف الفقيه سأله الرشيد عن قول القائل :

فإن ترفقي يا هندُ فالرفقُ أيمنُ وإن تخرقي يا هندُ فالخرقُ أشأمُ

فأنتِ طالقٌ والطلاقُ عزيمـةٌ ثلاثٌ ، وَمَنْ يخرق أعقُ وأظلمُ

ما الذي يلزم من رفع (ثلاث) ونصبها ، قال أبو يوسف : " فقلت هذه مسألة نحويّة فقهية ، ولا آمن الخطأ ان قلت فيها برأيي فأتيت الكسائي ، وهو في فراشه فسألته فقال : إن رفع ثلاثاً طُلِّقَتْ واحدة ... وإنْ نَصَبَها طَلَقَ ثلاثاً" (الأنصاري،76/1) .

والملاحظ في هذا التوجيه أنّ الكسائي بنى الاحكام الفقهية على ما يتضمنه اللفظ من أفعال إنجازية ؛ لأنه يرى أنّ المعنى في الرفع (أنت طالقٌ) ، ثم أخبر أنّ الطلاق التام ثلاث ، وإن المعنى في النصب (أنتِ طالقٌ ثلاثاً) وما بينهما جملة اعتراضية . (الأنصاري،76/1).

وقد اعترض ابن هشام على توجيه الكسائي ، إذ يرى أنّ كلاً من الرفع والنصب محتمل لوقوع الثلاث ؛ ولوقوع الواحدة ، أمّا الرفع فلأنّ (ال) في الطلاق تكون للجنس وللعهد ، فعلى العهدية يقع الثلاث ، وعلى الجنسية يقع واحدة ، وأما النصب فيحتمل أن يكون على المفعول المطلق ، وحينئذ يقتضي ، وقوع الطلاق الثلاث ؛ لأنّ المعنى أنت طالق ، ثم اعترض بينهما بجملة (الطلاق عزيمة) ، ويحتمل النصب على الحال من الضمير المستتر في (عزيمة) وحينئذ لا يلزم وقوع الثلاث ؛ لأن المعنى : والطلاق عزيمة إذا كان ثلاثاً ، وبذلك يقع ما نواه من واحدة أو ثلاث . (الأنصاري،76/1) .

والملاحظ في توجيه الكسائي واعتراض ابن هشام أنّ النحويين نظروا إلى ما يتضمنه ظاهر اللفظ من أحكام فقهية مبتناة على ما ينجزه ظاهر اللفظ وباطنه من دلالات محتملة في السياق ، وهذا خير دليل على أنّ الأفعال الإنجازيّة كانت حاضرة في أذهان النحويين عند صياغتهم للأحكام النحويّة وعند تفريعهم للأوجه الإعرابيّة .

ومن ذلك أيضاً ما ذكره في توجيه قوله تعالى : ﴿ وإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إلاّ الله ﴾ (البقرة ، 83) ، وقوله تعالى : ﴿ وإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُم لا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُم ﴾ (البقرة ، 84) إذ يرى أنّ التقدير فيه (بأن لا تعبدوا)، و (بأن لا تسفكوا) ، ثم حذف (الجار) ثم (أنْ) وارتفع الفعل (الزجاج ، 1988، 162، الرازي ، 1981، 175/3–176، الأنصاري ، 528/2) وقد اتفق الفراء مع شيخه في هذا الرأي ثم بيّن أنّ موضع (لا تعبدون) على النهي إلاّ إنّه جاء على لفظ الخبر كقوله تعالى : ﴿ لا تُضَار والدةٌ بِوَلَدِهَا ﴾ بالرفع والمعنى على النهي ، وممّا يؤكد كونه نهياً أمور (الفراء ، 53/1–54 ، الرازي ، 176/3) : أحدها : (أقيموا) ، وثانيهما : أنّه ينصره قراءة عبدالله وأُبي ، وثالثهما : أنّ الإخبار في معنى الأمر والنهي أكثر توكيداً أو أبلغ من صريح الأمر ؛ لأنّه كأنّه سُورِعَ إلى الامتثال والانتهاء فهو يخبر عنه .

وبهذا نرى أنّ النحويين الأوائل تنبّهوا إلى أنّ الأفعال الإنجازيّة أكثر توكيداً وأبلغ في ايصال المعنى من الأفعال الصريحة ؛ لأنّ الكناية أبلغ من التصريح . وهذا قريب ممّا قرره علماء اللغة المحدثون الذين رأوا أنّ هناك وجوداً باطنياً ذهنياً سابقاً على

الوجود اللغوي وكلاماً نفسياً قديماً على الكلام التنجيزي الحادث ، فالمعنى كيان سيكولوجي ، واللفظ كيان لساني ، والكلام زواج الكيانين وتطابقهما تطابقا يكون فيه اللفظ لباسا للمعنى ، والمعنى مضمونا للشكل (مقبول ، 360).

ومن ذلك أيضا حمله الفعل (رضي) في التعدية على نقيضة (سخط) كما في قول الشاعر (البغدادي ، 1997، 247/4) :

إذا رَضِيَت عليّ بَنُو قُشَيرٍ لَعَمْرُ اللهِ أَعْجَبَنِي رِضَاهَا

إذ يرى أن (عليّ) في هذا البيت بمعنى (عن) أي جاءت للمجاوزة ؛ وعزا ذلك إلى الحمل على النقيض ؛ لأن الفعل (رضي) حُمل على الفعل (سخط) ؛ لذا عُدِّي بـ (عن) من باب حمل الشيء على نقيضه (ابن جني ، 94/2) قال ابن جنّي : "وكان ابو علي يستحسن قول الكسائي في هذا ؛ لأنّه قال : لما كان (رضيتُ) ضد (سخطتُ) عدّي (رضيت) بعلى حملاً للشيء على نقيضه ، كما يحمل على نظيره ، وقد سلك سيبويه هذه الطريق في المصادر كثيراً ، فقال :قالوا كذا ، كما قالوا : كذا ، وأحدهما ضد الآخر" (ابن جني ، 2003، 94/2) .

وبهذا يتبين ان حمل النقيض على النقيض في النحو العربي وجعله أحد أنواع القياس ما هو إلا تأكيد على الطابع العملي التداولي في اللغة ، بجعل اللغة تدور مع الاستعمال وجوداً وعدماً ، وهذا جلّ ما توصل إليه علم اللغة الحديث (مقبول،2006، 408).

4ـ متضمنات القول (الافتراض المسبق)

هي أحدى المفاهيم العملية الإجرائية لمجموعة من قوانين الخطاب ؛ لإنجاح العملية التواصلية بين الاشخاص ، ويلجأ المتكلم اليها ؛ لأنّ التلميح أبلغ من التصريح ، ويتجلى مفهوم متضمنات القول في نمطين رئيسين هما : الافتراض المسبق ، والقول المضمر.

الافتراض المسبق

يرى الدارسون أنّ الافتراضات المسبقة ذات أهمية قصوى في عملية التواصل والإبلاغ وتحدد على أساس معطيات لغويّة ، أمّا الأقوال المضمرة : فهي ترتبط بوضعية الخطاب ، ومقامه (صحراوي ، 2005، 32).

ومن آثار ظاهرة الافتراض المسبق عند الكسائي افتراضه أن أصل (لن) هو (لا أنْ) فحذفت الهمزة للتخفيف والالف للساكنين (سيبويه، 3،5/2009،الأندلسي،1998 ،1643/4) واعترض سيبويه على هذا الرأي إذ عدّها أداة مكونة من حرفين فقال : " ولكنّها بمنزلة شيء على حرفين ليست فيه زيادة ، وإنّها في حروف النصب بمنزلة (لم) في حروف الجزم ، في أنّه ليس واحد من الحرفين زائداً . ولو كانت على ما يقول الخليل لما قلتَ :أمّا زيداً فَلَن أضرِبَ لأنّ هذا اسم والفعل صلة فكأنّه قال : أمّا زيداً فلا الضربُ له " (سيبويه، 2009، 5/3 .

واستدل الكسائي ومن وافقه على وجود المستوى القبلي في (لن) ـ التركيب ـ بالمسموع من العرب ؛ لأنّه كان يولي الاهتمام بالسماع وإنْ كان قليلاً ؛ لأنّه ربما يكون لغة من لغات العرب ، أو استعمالاً فصيحاً لم يتنبّه له كثير من النحويين ، ومن أمثلة ذلك قول الشاعر(البغدادي ، 440/8) :

يرجّي المرءُ ما لا أنْ يُلاقِي وتَعرِضُ دُوْنَ أَدْنَاهُ الخُطُوبُ

يرى ابن يعيش أن (لن) مركبة ودليل تركبها أنه اجتمع فيها ما افترق في (لا) و (أنْ) من النفي ونصب الفعل المستقبل (ابن يعيش،8/ 112) .

وأجاز الكسائي حذف لام الأمر مع الفعل المضارع (الكسائي،1998، 231) بناءً على المستوى القبلي ـ دلالة الأمر في الفعل ـ كما في قوله تعالى ﴿ قُل للذينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا للذينَ لا يَرْجُونَ أيامَ اللهِ لِيَجْزِيَ قَوْماً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (الجاثية ، 14)، وعدّه حذفاً مطرداً . وقد اتفق أبو علي الفارسيّ مع الكسائي في اطراد هذا الحذف إذ قال : " قال الكسائي في قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَلذِيْنَ آمَنُوا يَغْفِرُوا ﴾ إنّما هو ليغفروا ، فحذف اللام ، وقياس قوله هذا عندي أن تكون اللام محذوفة من هذا القبيل ... لأنّ الدلالة على حذفه قائمة ... فالحذف في هذا الحرف الزائد كالحذف في الحروف الأصلية ؛ إذ الدلالة قائمة على حذفه" (الفارسيّ ، 2003، 64/1-65) .

نخلص ممّا تقدّم أن الكسائي والنحويين الأوائل بنوا افتراضاتهم المسبقة على دلالة السياق ، والاستعمال اللغوي ، للتراكيب النحويّة .

الخلاصة :

استطاع الكسائي أن يربط بين الإعراب والاستعمال في أحكامه النحويّة .

حاول الكسائي أن يحدّ من التقدير والتأويل في كثير من المسائل النحويّة ، واكتفى بالحكم على التراكيب بناء على المسموع من الكلام العربي ، وإن كان المسموع قليلاً .

كانت نظرية القصد التي جاء بها علم اللغة الحديث حاضرة في تراث الكسائيّ النحويّ ؛ لأنّه كان يرى أنّ الجمل الخالية من القصد تنتجها القواعد ، لكنها لا تمثل كلام المتكلم .

تنبه الكسائي منذ وقت مبكر إلى الأفعال الإنجازيّة ؛ لأن تحليله النحويّ كان مبتنياً على ما يتضمنه ظاهر اللفظ وباطنه من دلالات يحتملها السياق العام والخاص .

اطلق الكسائي احكاماً فقهيّة في بعض المسائل التي يسأل عنها معتمداً على ما يتضمنه ظاهر اللفظ وباطنه من دلالات إنجازيّة، وبهذا استطاع أن يبيّن الطرق التي يتجلى فيها مقاصد الخطاب ، وهذا جلّ ما توصلت إليه نظرية أفعال الكلام . كانت إشارات الكسائي عن أصل بعض المفردات ، أو تقدير بعض المحذوفات من الجمل بوادر سبق في مسألة الافتراض المسبق الذي جاءت به الدراسات التداوليّة .

مصادر البحث:

- القران الكريم .
- الأسس الأبستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه : د. إدريس مقبول ، جدارا للكتاب العلمي ، للنشر والتوزيع ، ط1 ، 2006م .
- ارتشاف الضرب من لسان العرب : لأبي حيّان الأندلسي (ت 745هـ) تحقيق وشرح ودراسة د. رجب عثمان محمد ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط1 (1418هـ ـ 1998م) .
- إعراب القرآن : لأبي جعفر النّحاس تحقيق زهير غازي زاهد ، عالم الكتب ، بيروت – لبنان ، ط2 (1429هـ ـ 2008م) .

- الإغفال (وهو المسائل المصلحة من كتاب معاني القرآن وإعرابه لأبي إسحق الزجاج): للعلّامة أبي علي الحسن بن أحمد الفارسيّ (ت377هـ)، تحقيق وتعليق عبدالله بن عمر الحاج إبراهيم ، جامعة الملك فهد للبترول والمعادن . الظهرن، المجمع الثقافي – أبوظبي . الإمارات العربية لمتحدة (1424هـ ـ 2003م) .
- البحر المحيط : لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيّان (ت745هـ) دراسة وتحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، والشيخ علي محمد معوض ، وآخرون ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ـ لبنان ، ط11413هـ ـ 1993م) .
- تاج االلغة وصحاح العربيّة : لأبي نصر اسماعيل بن حمّاد الجوهريّ (ت 400هـ) تحقيق أحمد عبد الغفور عطّار ، دار العلم للملايين ، بيروت . لبنان ، ط3 (1404هـ ـ 1984م) .
- التداولية عند العلماء العرب (دراسة تداوليّة لظاهرة الأفعال الكلاميّة في التراث الساني العربي) : د.مسعود صحراوي ، دار الطليعة ، بيروت ، ط1 ، يوليو 2005م .
- التفسير الكبير: للإمام محمد الرازي (604هـ) دار الفكر للطباعة والنشر والتّوزيع ، ط1 (1401هـ ـ 1981م) .
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب : تأليف عبد القادر بن عمر البغداديّ ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط4 (1418هـ ـ 1997م) .
- الخصائص : لأبي الفتح عثمان بن جنّي (ت 392هـ) تحقيق عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلميّة ، بيروت . لبنان ط2 (1424هـ ـ 2003م) .
- شرح التّصريح على التوضيح : للشيخ خالد بن عبدالله الأزهريّ ، دار إحياء الكتب العربيّة (فيصل عيسى البابي الحلبي) (د.ت) .
- شرح الجمل : لأبي محمد جمال الدين بن هشام الأنصاريّ (761هـ) دراسة وتحقيق د. علي محسن عيسى ، عالم الكتب ، ط1 ،(1405هـ ـ 1985م) .
- شرح المفصل : للشيخ جامع الفوائد موفق بن يعيش (ت 643هـ) طبع في إدارة المطبعة المنيريّة لصاحبها محمد منير عبده ، (د.ت) .
- الفينومينولوجيا عند هوسرل (دراسة نقدية في التجديد الفلسفي المعاصر) : سماح رافع محمد ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ط1 ، 1991م.

- الكتاب : لأبي بشر عمر بن عثمان بن قنبر ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط3 ، ط5 (2006,2009م).
- كتاب العين : لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيديّ (175هـ) تحقيق د. مهدي المخزومي ، ود. إبراهيم السّامرائيّ ، منشورات مؤسسة الأعلمي ، بيروت . لبنان ، ط1 (1408هـ ـ 1984م) .
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل : لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشريّ(538هـ) دار إحياء التراث العربي ، بيروت ـ لبنان ، ط1 (1424هـ ـ 2003م) .
- لسان العرب : تأليف ابن منظور (711هـ) تحقيق عبدالله علي الكبير ، وآخرون ، دار المعارف ، القاهرة (د.ت) .
- معاني القرآن : لأبي الحسن سعيد بن مسعدة المعروف بالأخفش (215هـ) قدّم له وعلّق عليه إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ـ لبنان ط1 (1423هـ . 2002م) .
- معاني القرآن : لأبي زكريا الفرّاء (207هـ) تحقيق أحمد يوسف نجاتي ، ومحمد علي النجار ، دار السرور ، القاهرة (د. ت) .
- معاني القرآن : لعلي بن حمزة الكسائيّ (189هـ) أعد بناءه وقدّم له الدكتور عيسى شحاته عيسى ، دار قباء للطباعة ، القاهرة (1998م) .
- معاني القرآن وإعرابه : لأبي إسحق إبراهيم بن السري (311هـ) شرح وتحقيق د.عبد الجليل عبده شلبي ، عالم الكتب ، ط1 (1408هـ ـ 1988م) .
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب : لجمال الدين بن هشام الأنصاريّ (761هـ) تحقيق د. مازن المبارك ، و محمد علي النجار ، مؤسسة الصادق ، مطبعة منير (د.ت) .
- مقاييس اللغة : لأبي الحسن أحمد بن فارس ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر للطباعة والنشر والتّوزيع ، القاهرة (1399هـ ـ 1979م) .
- نظرية الفعل الكلامي بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغويّة في التراث العربي والإسلامي : هشام إ . عبدالله الخليفة ، مكتبة لبنان ناشرون ، ط1 2007م .

References:

-Alazhari, Bin Abdulah Khaled. Altasreeh interpretation for explanation. The Arabic books restoration house. Investigated by Issa Albabi Alhalabi.

- Alansari, Bin Hisham, Jamal Aldean, Mohammed. Sentences explanation. A study and investigation by Ali Mohsin Issa, Books world. First edition. 1985.

-Alandalusi, Abi Hayan. The examples from Arabs. Investigation, interpretation and study by Rajab Ottman Mohammed. Alkhanchi library. Cairo. First edition.1998.

-Aljawgari, Bin Hamad, Ismael, Abi Nasr. The crown of the language and the Arabic validity. Investigated by Ahmed Abed Alghafoor Attar. The science house for the millions. Beirut, Lebanon. 1984.

-Alfarisi, Bin Ahmed, Ali Alhasan. Investigated and commented by Abdullah Bin Omar Alhaj Ibrahim. Alfahad University for Petrol and Minerals, Alduhran, cultural complex, Abu Dhabi, UAE.2003.

-Alnahas, Abi Jafaar. The syntax of Qura'n. Investigated by Zuheer Ghazi Zahed. The world of books. Beirut, Lebanon. Second edition. 2008.

-Albaghdadi, Omar, Abdulqader. The literature safte and the Arabs speaker. Investigated and explained by Abdulsalam Mohammed Haroon. Alkhanhci library. Cairo. Fourth edition.1997.

-Alkisaee, Bin Hamza, Ali. The Qura'n's vocabularies. Presented and prepared by Issa Shihatah Issa. Alqiba press house. Cairo. 1998.

-Alkhaleefah, Hisham, Abdullah. The language parole among the modern language science and the linguistic subjects in the Arabic Islamic heritage. Investigated by Hisham Abdullah Alkhalifah. Lebanon publishers house. First edition. 2007.

-Alrazi, Mohammed. The great Interpretation. Alfiker press house and distribution. First edition. 1981.

-Alzamkhshri, Bin Omar, Mahmood, Abi Alqasim. The detecting of revelation facts and the sayings in the light of hermeneutics. The Arabic heritage revival house. Beirut, Lebanon. First edition. 2003.

- Bin Alsrri. The vocabularies of Qura'n. Investigated and interpreted by Abduljaleel Abdah Shalabi. The Books world. First edition.1988.

-Bin Mesadah, Saeed, Abi Alhasan. The meanings of the Qur'an. Presented and commented Ibrahim Shmess Alsean. The scientific books house. Beirut, Lebanon. First edition.. 2002.

-Bin Ahmed Alfraheedi, Alkhaleel, Abdulrahman. The book of Alain. Investigated by Mahdi Almakhzoomi, Ibrahim Alamraee. Alalami institute for publication. Beirut, Lebanon. First edition.1984.

-Bin Faris. Ahmed, Abi Alhasan. The language measures. Investigated by Abdulsalam Mohammed Haroon. Alfiker press house for publication and distribution. Cairo. 1979.

-Bin Jenni, Othman, Abi Alfateh. The characteristics. Investigated by Abdulhameed Hindawi. The scientific books house. Beirut, Lebanon. Second edition.2003.

-Bin Qanbar, Omar Bin Othman, Abi Bashr. The Book. Investigated by Abdulsalam Mohammed Haroon. Alkhanchi library. Cairo, First edition. 1991.

-Bin Yaeesh, Muwafak. Almafsal Interpretation. Printed at Almuniriyah press house owned by Mohammed Muneer Abdah.

-Bin Yousif, Mohammed. The Great Occean. A study and comment by the Shaik Adil Ahmed Abdulmawjood and the Shaik Ali Mohammed Awadh etal. The scientific books house. Beirut, Lebanon. 1993.

-Glorous Qur'an.

-Maqbool, Idrees. The pragmatics basis of Grammar by Sebawaiyeh. Jidar for the scientific Books for publication and distribution. First edition.2006.

-Mohammed, Rafea, Mohammed. Phenomenology at Hussrel. Cultural affairs house. Baghdad. 1991.

-Sahrawi, Masaood. Pragmatics at Arabs' Scientists. Altaleah house. Beirut. First edition. 2005.